الافتتاحية

تعتمد الدراسة الأكاديمية للعلوم الإنسانية، لا سيما العلوم اللاهوتية والتاريخية واللغوية، على فحص المصادر التي تُسْتَقَى منها المعرفة، ودراستها بدقة، ومقارنتها بغيرها من المصادر الأقدم منها والمعاصرة لها والأحدث منها، رغبةً في تقييم ما لدينا من معرفة، وتَتَبُّع المراحل التي مرت بها إلى أن اتخذت الشكل الذي وصلتنا فيه.

وفي مجال الدراسات المسيحية، على تنوعها وغناها، يبقى النَّصُّ هو المصدر الأهم وصاحب المرجعية. فلا يوجد فرع من فروع العلوم المسيحية إلا ويعتمد على نصوص متواترة، لكي يُثْبِت من خلالها أمرًا أو ينفيه، يُرَجِّحه أو يستبعده. فالنص إذن هو الأساس الذي تُبْنَى عليها الدراسة والبحث، وبدونه لا تقوم لهذه العلوم قائمة، ولا يمكنها أن ترسخ وتتقدَّم إلا به. ولهذا، صارت العناية بنشر النصوص المسيحية، اللاهوتية والليتورجية والقانونية والنسكية والتاريخية، على اختلاف اللغات التي وصلتنا بها، أمرًا حتميًّا يُقِرُّه المنطقُ السليم وتدعو إليه الرغبةُ الصادقة في معرفة الحق والحقيقة.

لقد شهدت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في العصر الحديث نشاطًا واضحًا في ترجمة النصوص المسيحية القديمة، وإن كان لا يتم ذلك في أغلب الأحيان عن اللغات الأصلية التي كُتِبَت بها هذه النصوص، بل عن ترجمات حديثة لها. صارت هذه الترجمات الآن مصدرًا وأساسًا لدراسات ومناقشات، ما كان لها أن تكون، لولا أن قام أصحابُ الفضل والمعرفة بفك أَسْر هذه النصوص القديمة من قيود لغاتها القديمة وإلباسها لغة الضاد.

ومع التسليم بالأهمية الشديدة للترجمة والحاجة الماسة إليها، إلا أن لنا الحق - ككنيسة عريقة لها تاريخ - أن نطلب الترقي، وأن يكون لنا إسهام

في نشر النصوص المسيحية في لغاتها القديمة، فننتقل بذلك من طبقة المستهلكين إلى رتبة المنتجين. وهذا المطلب لا يتحقَّق إلا بالعناية الشديدة بتدريس اللغات القديمة في معاهدنا الدينية، إلى أن يتمكن الطلابُ من إجادة بعضها أو إحداها، إجادةً تُمَكِّنهم من قراءة النص القديم وفهمه ثم ترجمته.

ومن النصوص القديمة التي تحتاج في فهمها إلى جهد أقل وزمن أقصر هي تلك النصوص المسيحية المدوَّنة مباشرة باللغة العربية منذ نهاية القرن العاشر الميلادي، والتي تُكَوِّن معًا ما اُصْطُلِح على تسميته "التراث العربي المسيحي للأقباط". فدراسة هذه النصوص ربما تكون أيسر من دراسة تلك المكتوبة بلغات قديمة لا يتقنها إلا قِلَّة قليلة. ودراستها وتعلُّم كيفية تحقيق مخطوطاتها ونشرها يخرج بنا إلى آفاق جديدة تجعلنا نُسْهِم في الحركة العلمية بالإنتاج والمشاركة، كما أن دراسة هذا التراث العربي المسيحي ونَشْره يُثْبِت للقاصي والداني خطأ مَن يزعم أن الكنيسة القبطية لم تعرف النورَ إلا في القرون الستة الأولى، كما يروِّج البعضُ عن جهل أو عن تضليل.

إن فكرة إنشاء أقسام خاصة باللغات القديمة وعلم تحقيق المخطوطات، وتأسيس قسم خاص بالتراث العربي المسيحي، هو أمر في متناول يد الكنسية القبطية، وهي تملك لذلك الإمكانيات البشرية والمادية، ولديها قبل كل شيء المخطوطات التي تحتاج إلى التحقيق والنشر، تكتظ بها مكتبات أديرتنا وكنائسنا القبطية.

فليكن لنا إذن دور ومكان في الحركة العلمية الحديثة، ولنتقدم إلى العالم بإنتاج وفكر يليقان بكنيسة الإسكندرية العريقة، ونقتفى آثار آبائنا الذين قدَّموا للعالم المسيحي قديمًا ما يقتات به، نورًا واستنارةً وبنيانًا لملكوت الله.